التنوع الديني والثقافي في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية

الأستاذ المساعد الدكتور
وليد عبد الحميد خلف فرج الله
جامعة الكوفة - كلية الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان مصطلح « التنوع الديني والتنوع الثقافي « مصطلحا معاصرا فإن مفهومه ليس كذلك لأنه يعني وجود أديان متعددة وثقافات مختلفة ، وقبول وجودها واحترام تنوع الإنتماء الديني رغم الاختلاف معه في العقيدة والشريعة مع تمتع الجميع بحرية الرأي والتعبير وممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، وكذلك احترام تنوع الانتماء الثقافي بسبب التعددية الفكرية والقبلية والعرقية ، وتعايش الجميع تعايشا إنسانيا على أساس العدالة والمساواة والتسامح والتكافل والتآخي واحترام الخصوصية ولكن في ظل سيادة القانون والالتزام بالنظام العام ، مع مشاركة الجميع في إقامة المجتمع الإنساني المنشود .

ولما كانت كلمة « التنوع « تشير إلى وجود « الاختلاف « فإن لها مدلولات إيجابية أهمها التعرف على الديانات والثقافات الأخرى والانفتاح عليها دراسة ومعرفة وحوارا وتعايشا وتسامحا وتعاضدا لبناء الحضارة الانسانية وايجاد قواسم مشتركة لتحقيق الإستخلاف الالهي كونه تكليفا شرعيا وعقليا .

ولها أيضا مدلولات سلبية ، منها إمكانية تفكك المجتمع وتمزق نسيجه الاجتماعي ، وعدم الاستقرار الاجتماعي بسبب الاختلافات في الدين والثقافة والعادات والتقاليد إذا تجذرت عصبية مقيتة وتعصبا أعمى ، لتطل الفتن فينهار السلم المجتمعي تحت وطأة النزاع والصراع .

وبعد استشهاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وفي خضم الصراع بين خط الوحي الإلهي ممثلا بإمتداد النبوة الإمام الحسين (عليه السلام) بموجب قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا ، الحسين سبط من الأسباط »[1]، وبين خط الجاهلية بكل اتجاهاتها ممثلة بمعاوية بن أبي سفيان وامتداداته ، فقد برزت إشكاليات التنوع الديني والثقافي بكل أبعادها ، وتباينت مواقف الخطين المذكورين من هذه الاشكاليات حتى تبلور مشروعان متناقضان لا يزال أثرهما وأبعادهما وفلسفتهما ونتائجهما قائمة إلى اليوم في عالمنا المعاصر .

وعند إمعان النظر في حركة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية نجد أنه أحيى المشروع الريادي للتنوع الديني والثقافي الذي جاء به الوحي الإلهي فأصله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرية وتطبيقا ، ونظره أمير المؤمنين (عليه السلام) رؤية ومنهجا ، وأكد الإمام الحسين (عليه السلام) أساس نهضته بقوله (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية : « وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب ، فمَنْ قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ، ومَنْ ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِين »[2]

ولذا تعامل الامام الحسين (عليه السلام) تعاملا حضاريا مع التنوع الديني والثقافي بمدلولاته الايجابية ، في ذات الوقت الذي تعامل فيه الحاكم الفاسد المستبد (معاوية ويزيد) تعاملا جاهليا مع التنوع الديني والثقافي بمدلولاته السلبية .

ولمنهج الامام الحسين (عليه السلام) أسس بناء على هدي رسالات الله تعالى منذ أن وجدت النبوة على الأرض ، ويتجلى ذلك في حقيقتين :

الأولى : إن الامام الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء (عليهم السلام) .

الثاني : بشارة الأنبياء (عليهم السلام) بالإمام الحسين (عليه السلام) مولدا ودورا ومسؤولية ونهضة وتضحية ، بل كانوا يظهرون الحزن والألم على مصرعه والمستشهدين بين يديه .

ولما كانت إصابة الحق مطلبا شرعيا وعقليا فقد خاطب الامام الحسين (عليه السلام) الناس على تنوعهم الديني والثقافي والعرقي لإشراكهم في نهضته الاصلاحية لأن الإصلاح مسؤولية الجميع شرعا (بموجب الأوامر الإلهية التي بلغها

الأنبياء جميعا عليهم السلام) وعقلا ، وعليه نجد هذا التنوع في شهداء الطف رضوان الله تعالى عليهم .

ولأهمية هذا الموضوع في عصرنا الحاضر ، وضرورة التأسي بالإمام الحسين (عليه السلام) في تبني منهج أصيل لمعالجة إشكاليات التنوع الديني والثقافي معالجات حضارية تسهم في النهضة الاصلاحية التي أضحت اليوم حاجة ملحة في وطننا ومجتمعنا وأمتنا وعالمنا أكثر من أي وقت مضى ، آثرت خوض غمار البحث في هذا الموضوع الاستراتيجي ، ولاستنطاق الحقيقة في كل ذلك والبرهنة على فرضيات هذا البحث فقد قسمته على المطالب الآتية ، وبعد بذل الجهد فقد جاء البحث في حلته هذه فإن أحسنت فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى وإلا فعذري بذل مجهودي.

المطلب الأول
التنوع الديني والثقافي في المشروع الأموي

لما كان المشروع الأموي مشروعا جاهليا أصولا ومبادئا وفلسفة وأهدافا ونتائجا فقد كان موقفه من التنوع الديني والثقافي موقفا متعسفا قائما على العصبية المقيتة والأنانية العنصرية والمصلحة الضيقة .

وقد استخدم الحاكم الأموي الجائر التنوع الديني والثقافي سلاحا لفرض سلطته وسيطرته على مقدرات الأمة ، واتبع سياسة البطش بالآخر المختلف والتنكيل به واستغلاله لتحقيق مآرب السلطة وغاياتها ، ومن معالم ذلك :

أولا ـ حرمان الآخر المختلف معه سياسيا : لقد سن الحاكم الأموي معاوية بن أبي سفيان بعد استيلائه على السلطة سياسة اقتصادية قائمة على الإضطهاد والتضييق على الآخر المختلف معه دينيا وسياسيا وعرقيا وثقافيا ، وعلى إشاعة الفقر والحاجة عند الأكثرية الساحقة من الشعب ، وأوجد الرأسمالية عند فئة قليلة راحت تتحكم في مصير الناس وشؤونهم ، كما أشاع الحرمان الإقتصادي في بعض الأقطار التي كانت تضم الجبهة المعارضة له فنشر فيها البؤس والحاجة [٣] .

ثانيا ـ التضييق على الأقليات : لما كانت نظرة الحكم الأموي المستبد للأقليات نظرية دونية قائمة على اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية فقد استغلهم استغلالا بعيدا عن الاعتبارات الإنسانية والقيم الدينية والمواثيق والعهود ، ومن أمثلة ذلك أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عامله على مصر « وردان « ما نصه : « أن زد على كل إمرئ من القبط قيراطا « ، فكتب إليه عامله : « كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم ؟ « [٤] .

ثالثا ـ التأسيس لعمليات التطهير العرقي حيث نفذ معاوية بن أبي سفيان سياسة التنكيل بالآخر المختلف عرقيا وطبقيا حتى بالغ في اضطهاد الموالي وإذلالهم ، بل رام أن يبيدهم إبادة شاملة لولا التحذيرات من خطورة ذلك [٥] ، فأعلن ذلك صراحة بقوله للأحنف بن قيس وسمرة بنجندب : « إني

رأيت هذه الحمراء قد كثرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن أقتل شطرا منهم ، وأدع شطرا لإقامة السوق وعمارة الطريق « [٦] ، ولا شك أن هذه رؤية جاهلية تتنافى مع مبادئ الإسلام الحنيف ومع كل التشريعات الإلهية .

رابعا ـ إن من أهم عناصر سياسة الأمويين الإقتصادية التي سنها معاوية بن أبي سفيان واتبعوها من بعده استعمال المال سلاحا للإرهاب [٧] ولإبتزاز الآخر المختلف والتنكيل به ، وشراء أديان الناس وخيانة الذمم [٨] .

خامسا ـ اتبع معاوية بن أبي سفيان ومن بعده حكام بني أمية وأتباعهم سياسة الفرقة بين الناس مسلمين وغير مسلمين والعمل الدائب على التفرقة والتخذيل وفصم عرى الأخوة ووحدة الأمة وإشاعة العداء بين أبنائها على تنوعهم وتعدديتهم بإلقاء الشبهات بينهم وإثارة الإحن فيهم [٩] ، وتبعا لسياسة التحزب والتفريق التي سار عليها الأمويون فقد أحيوا العصبيات القبلية ، وعمد معاوية إلى إثارة الأحقاد القديمة ما بين الأوس والخزرج وإذكاء ألوان الصراع القبلي [١٠] .

وعليه فإن المشروع الأموي التسلطي قد استغل وجود التنوع الديني والثقافي استغلالا همجيا سلبيا يكرس الانغلاق ويجذر التعصب ويعمق الخلاف ويزرع الأحقاد ويؤسس للصراع وينتهي بالنزاع .

المطلب الثاني
التنوع الديني والثقافي في المشروع الحسيني

لما كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ترتكز على مبادئ وهدي الوحي الإلهي كتابا وسنة والالتزام التام بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) فإننا نجد أن مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) في التنوع الديني والثقافي يتجلى بما يأتي :

١ ـ في الوقت الذي نشرت السلطة الحاكمة ثقافة التمييز العنصري بين الناس وقسمتهم إلى طبقات على أساس الانتماء القبلي والعقدي وغيرهما ، عمل الإمام الحسين (عليه السلام) جاهدا على التثقيف بمبدأ وحدة النوع الإنساني ، وهو المبدأ الذي أصله القرآن الكريم فلا فرق بين إنسان وآخر في الخلق والتكوين لأن الله تعالى خلق الناس جميعا من مادة واحدة « التراب « وعلى هيأة واحدة ، قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) [١١] ، وأن الناس جميعا على تنوعهم أخوة من أب واحد وأم واحدة خلقهم الله عز وجل جميعا من نفس واحدة ، قال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً)[١٢] ، فللإنسان أصل واحد هو « الحقيقة الإنسانية « ، يتحد فيها جميع الأفراد على تنوعهم

وكل السلالات والأقوام والمجتمعات بلا تفاوت بينها ، فهم كأعضاء نفس واحدة متفقون في الفطرة ومشتركون في القيم والسير التكاملي [١٣] .

٢ ـ على حين كانت الأمة تتردى في أودية العبودية للحكام والأهواء والمصالح والغرائز والشهوات والمناصب بذل الإمام الحسين (عليه السلام) جهوده الجبارة لتحرير الإنسان على تنوعه الديني والثقافي والعرقي فردا ومجتمعا وأمة من كل عبودية لكل ما سوى الله تعالى فلا يكون الإنسان إلا عبدا لله وحده لا شريك له ، وسعى (عليه السلام) في منهج تكاملي لتحرير الإنسان نفسيا ، واجتماعيا ، وسلوكيا .

ففي المشروع الحسيني يتحقق تحرير الإنسان نفسيا بتحريره من أغلال الأنانية وعبودية الشهوات وليتمكن من قيادة نفسه بحقائق الوحي ومنطق العقل وقوة الإرادة وقيم الإنسانية وحتى يصبح ذلك منهجا له في الحياة بل ملكة راسخة في الأعماق ، وبذلك يصبح الإنسان أي إنسان حاكما لا محكوما وغالبا لا مغلوبا مالكا لإرادته حكيما في كل موقف أديبا في كل قول إنسانيا في كل فعل ، وهذا هو منهج الإمام الحسين (عليه السلام) حين خاطب الإنسان بغض النظر عن انتمائه ليسمو به روحيا وينتشله من وهدة التسافل ومحدوديتها إلى آفاق أرحب وأهداف أسمى .

وكان « التوحيد « هو المبدأ لانتشال الإنسان من تلك العبودية وهو المنهج لتربيته في كل المجالات [١٤]، ففي النهضة الحسينية التوحيد هو سند الإنسانية في تحرّرها الداخلي من كل العبوديات .

وفي المشروع الحسيني يتحقق تحرير الإنسان اجتماعيا بتحريره من أغلال التقاليد البالية والأعراف الجائرة والقضاء على عبادة الإنسان للإنسان حاكما أم سلطة بكل مظاهرها وأبعادها وآلياتها بموجب نصوص الوحي الإلهي ، ومنها قوله تعالى : (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله) [١٥] ، فلا عبادة لأحد حاكم أم غيره ولا لجهة أو سلطة أو فصيل أو فئة ، ففي النهضة الحسينية ترسيخ لعقيدة التوحيد فالناس كل الناس عبيد لله تعالى وحده .

ويتكامل المشروع الحسيني في تحرير الإنسان نفسيا واجتماعيا بتحريره سلوكيا بأن يصبح حرا في تصرفه حرية تنسجم مع فضله لأن الله فضله على سائر مخلوقاته ، ومع مكانته لأن الله كرّمه ، ومع مسؤوليته لأن الله استخلفه في أرضه ، ومع إيجاده لأن الله خلقه لعبادته ، حتى تتجسد في شخصه معطيات الوحي وقيم الإنسانية فلا يصدر عن المؤمن إلا الخير قولا وعملا وخلقا ، ويصبح مشروع تضحية بكل شيء في سبيل الله تعالى وإنقاذا للإنسان فردا ومجتمعا وأمة من وهدة التردي في الضلال ومن الانحراف .

وهذا تماما ما حققه الإمام الحسين (عليه السلام) في صقل أصحابه وإعدادهم على تنوع أصولهم حتى تجسد في كل واحد منهم المشروع الحسيني بأبعاده التكاملية ،

ولذا وصفهم بقوله : (إني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي) .

وعليه فإن المشروع الحسيني مشروع سماوي نظّر تنظيرا حضاريا واقعيا للتنوع الديني والثقافي وفق مبادئ الوحي الإلهي وليجعل من ذلك التنوع أساسا للبحث عن الحقيقة ومنطلقا لإصابة الواقع ومنهجا للعودة إلى هدي الوحي وواقعا للفضيلة والتسامح والتعايش والتوادد والتآخي بين بني البشر وليشركهم جميعا في الإصلاح كما أراده الله تعالى بما يحقق سعادة الإنسان ، كل إنسان فردا وجماعة وأمة ومجموعا .

المطلب الثالث
الامام الحسين (عليه السلام) وارث الانبياء (عليهم السلام) والمرسلين

من الثابت اليقيني في تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الإمام الحسين (عليه السلام) وراث الأنبياء (عليهم السلام) في إمامته ، يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في نص زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) : (لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحَقِّ ، اللّهُمَّ إنّي أشْهَدُ أنَّ هذا قَبرُ ابْنِ حَبيبِكَ وَصَفْوَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ ، وَأنَّهُ الفائِزُ بِكَرامَتِكَ ، أكْرَمْتَهُ بِكِتابِكَ ، وَخَصَصْتَهُ وَائْتَمَنْتَهُ عَلى وَحْيِكَ ، وَأعْطَيْتَهُ مَواريثَ الأنْبياءِ ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ ، فأعْذَرَ في الدَّعْوَةِ ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ ، لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الضَّلالَةِ ، وَالجهالَةِ وَالْعَمى ، وَالشَّكِّ والارْتياب إلى بابِ الهُدى مِنَ الرَّدى ... السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبيِّ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إبراهيمَ خَليلِ اللهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَليمِ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عيسى رُوح الله ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ أمير المؤمنين عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ وَصِيِّ رُسُولِ الله ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ الحسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّكِيِّ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ سَيِّدَة نِّساءِ الْعالَمِينَ ، الصِّدِّيقَةِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها الصِّدِّيقُ الشَّهيدُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها الوَصِيُّ الرَّضِيُّ البارُّ التَّقِيُّ) [١٦] .

ويستنبط من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن مواريث الأنبياء (عليهم السلام) هي :

١ ـ المقامات والمراتب العالية في القرب من الله تعالى ، كوراثة الولاية ، ومقام الوساطة في الفيض الإلهي ، والمعاجز ، والمناقب .

٢ ـ الملكات العالية ، والصفات الحميدة ، والعصمة ، وباقي المعالي .

٣ ـ الصحف ، والكتب ، والأمور الخاصة بالأنبياء (عليهم السلام) مثل خاتم سليمان وعصى موسى (عليهما السلام) وغيرها .

٤ ـ خصوصيات امتاز بها بعض الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كنفوذ الكلمة ، والحكومة الظاهرية ، والطول ، والقوة ،

ووجوب الطاعة المطلقة .

٥ ـ الأموال والممتلكات ، لأن الإمام من سلالة النبيين [١٧].

لقد ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من الأنبياء كل ذلك ، فضلاً عن أنه من ذريتهم ويحمل صفاتهم الوراثية ، فإن الله تعالى قد وهبه ما كان فيهم ولهم وحفظ له ما ملكهم وأعطاهم بدلالة : (وَأَعْطَيْتَهُ مَوارِيثَ الأَنْبِياءِ) .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من آدم (عليه السلام) ورث مسؤولية الإستخلاف بإعلان المنهج الالهي في الحياة وإرشاد الناس جماعات وأجيالا إلى الحق والهدى والأمر بالتمسك بالعروة الوثقى واتباع سبيل الله ، والنهي عن اتباع سبل الشيطان والتحذير من التردي في الباطل والضلال ، وكما كان الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) من ذرية آدم ، فإن الأئمة (عليهم السلام) من ذرية الحسين (عليه السلام) .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من نوح (عليه السلام) ورث قوة الحجة وصحة الدليل وروعة البيان وقوة العزيمة مع قلة الناصر وخذلان الأمة ، وكانت تضحية الإمام الحسين (عليه السلام) طوفان جارف أطاح بعروش الظلمة وهد كيان الجبابرة .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من إبراهيم (عليه السلام) ورث التضحية بالنفس والولد والأهل وكل ما يملك في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، والهجرة من الوطن لنشر دين الله تعالى في أرجاء البلاد وإنقاذ العباد وإحياء أحكام الدين وتوعية الأمة وإيقاظها من سباتها .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من موسى (عليه السلام) ورث مواجهة فرعون العصر ومقارعة طواغيته وتفنيد شبهات متزلفيه وإفحام مشعوذيه ومنازلة جنوده وتابعيه ، وقيادة أهل الإيمان للخلاص من عبودية ما سوى الله تعالى .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من عيسى (عليه السلام) ورث تصديه لإنقسام الأمة وتشرذمها ونكوصها إلى جاهلية ما قبل النبوة ، وتصحيحه تغييب حقائق الوحي ، وتبيانه تحريف هدي الكتاب ، وإحيائه السنن ، وتحمله أنواع الاضطهاد والتنكيل ، وتعرضه للتشويه وإتهامه بالخروج عن الدين .

ومما ورث الإمام الحسين (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورث حمل هدي الوحي الإلهي كتابا كريما وسنة شريفة إلى الناس كل الناس على تنوعهم وتعدديتهم لإنقاذهم من الظلمات إلى النور ، وورث الإقدام والشجاعة والإباء والنصيحة والصبر والتحمل .

إن وراثة الإمام الحسين (عليه السلام) للأنبياء (عليهم السلام) قد جعلته مصداقا لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (حسين مني وأنا من حسين) ، فبتضحيته الجليلة أحيى الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعا ، قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) ــ سورة آل عمران / ١٩ ــ ، (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ــ سورة الشورى / ١٣ ــ ، وتحققت استمرارية جهود الانبياء وديمومة دينهم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، ولذا فإن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية قد جسدت حقائق التنوع وفلسفة التعدد وهدي الوحي ومدركات العقل وقيم الإنسانية .

المطلب الرابع
بشارات الأنبياء (عليهم السلام) بالإمام الحسين (عليه السلام)

من أوائل ما أوحاه الله تعالى لآدم (عليه السلام) ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) شخصا واصطفاء ومنزلة وكرامة ودورا وتضحية وفداء ومنزلة ، ومن ذلك تلقي آدم (عليه السلام) ما يصيب الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وصحبه (رضي الله عنهم) وما يجري عليهم حتى انكسر قلبه وسالت عبرته وبكى بكاء الثكلى [١٨] .

وكانت سنة الأنبياء (عليهم السلام) وسيرتهم التبشير بالإمام الحسين (عليه السلام) مولدا ودورا ومسؤولية ونهضة وتضحية ، وكانوا يظهرون الحزن والألم على مصرعه والمستشهدين بين يديه .

ومن الحقائق التاريخية أن اسم « أرض الطف » و « أرض كربلاء » إسم أكدي ، وكان معروفا منذ زمن النبي إدريس (عليه السلام) والنبي نوح (عليه السلام) ، فـ« كربلاء » كان اسمها « كربائيل » ومعناه « قربان الله » ، وقد سماها الأنبياء السابقون بهذه التسمية ، والتي بيّنت العقيلة زينب (عليها السلام) مصداق ذلك عندما وضعت يدها تحت جسد الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده مبتهلة إلى الله تعالى بقولها : « اللهم تقبل منا هذا القربان » [١٩] .

وكان لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل (عليه السلام) دور كبير في التركيز على ذكر الإمام الحسين (عليه الاسلام) وتبليغ الأجيال في كل عصر ومصر وزمان ومكان بالتفاعل الإيجابي مع نهضته تفاعلا إيجابيا عاطفيا وفكريا ومنهجيا ، فعن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) أن مما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم (عليه السلام) : « يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلما وعدوانا كما يذبح الكبش ، ويستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم (عليه السلام) لذلك ، وتوجع قلبه ، وأقبل يبكي » [٢٠] .

وأن أول من لعن قاتل الإمام الحسين (عليه الاسلام) كان أبو الأنبياء إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث لعنه وأمر ولده بذلك ، بل وأخذ عليهم العهد والميثاق بذلك ـ أي أن لعن قاتل الإمام الحسين (عليه الاسلام) أصبح سنة في آل إبراهيم (عليه السلام) ـ ، ثم لعنه النبي موسى بن عمران (عليه الاسلام) وأمر

أمته بذلك ، ثم لعنه النبي داود (عليه الاسلام) وأمر بني إسرائيل بذلك ، ثم لعنه النبي عيسى بن مريم (عليهما السلام) وأمر قومه بقوله : « يا بني إسرائيل العنوا قاتله ، وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه ، فإن الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبلا غير مدبر ، وكأني أنظر إلى بقعته ، وما من نبي إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها ، وقال : إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر « [٢١].

ومما تضمنه العهد القديم من بشارات الأنبياء السابقين (عليهم السلام) بالإمام الحسين (عليه السلام) بشارة النبي إشعياء (عليه السلام) بما نصه : « مَنْ آمن بِكَلاَمِنَا، وَلِمَنْ ظَهَرَتْ يَدُ الرَّبِّ؟ نَمَا كَبُرْعُم أَمَامَهُ، وَكَجِذْرٍ فِي أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ يَسْتَرْعِيَانِ نَظَرَنَا، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَنْبُوذٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ آلاَمٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ، مَخْذُولٌ كَمَنْ حَجَبَ النَّاسُ عَنْهُ وُجُوهَهُمْ فَلَمْ نَأْبَهْ لَهُ. لَكِنَّهُ حَمَلَ أَحْزَانَنَا وَتَحَمَّلَ أَوْجَاعَنَا، وَنَحْنُ حَسِبْنَا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَاقَبَهُ وَأَذَلَّهُ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ مَجْرُوحاً مِنْ أَجْلِ آثَامِنَا وَمَسْحُوقاً مِنْ أَجْلِ مَعَاصِينَا، حَلَّ بِهِ تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا، وَبِجِرَاحِهِ بَرِئْنَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ شَرَدْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى سَبِيلِهِ، فَأَثْقَلَ الرَّبُّ كَاهِلَهُ بِإِثْمِ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ وَأُذِلَّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، بَلْ كَشَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. بِالضِّيقِ وَالْقَضَاءِ قُبِضَ عَلَيْهِ، وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ اسْتُؤْصِلَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، وَضُرِبَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِ شَعْبِي؟ جَعَلُوا قَبْرَهُ مَعَ الأَشْرَارِ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ جَوْراً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سُرَّ اللهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. وَحِينَ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ فَإِنَّهُ يَرَى نَسْلَهُ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ، وَتُفْلِحُ مَسَرَّةُ الرَّبِّ عَلَى يَدِهِ. وَيَرَى ثِمَارَ تَعَبِ نَفْسِهِ وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ يُبَرِّرُ بِمَعْرِفَتِهِ كَثِيرِينَ وَيَحْمِلُ آثَامَهُمْ. لِذَلِكَ أَهَبُهُ نَصِيباً بَيْنَ الْعُظَمَاءِ، فَيَقْسِمُ غَنِيمَةً مَعَ الأَعِزَّاءِ، لأَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ، وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ. وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.» [٢٢] ، والحقيقة أن هذا النص لا مصداق له إلا الإمام الحسين (عليه السلام) ، فبعد أن أشارت افتتاحية النص إلى أنه خطاب إلى من تشملهم العناية الإلهية بتفهيمهم بقضية كونية خطيرة مضمونها أن المقصود به ينمو في عصر مليء بالجهل والحماقة كبرعم في ظرف خال من الحياة ، وهو بلا بهجة في نظر أهل الدنيا ، وهو منبوذ من الطواغيت مطارد من الجبابرة المارقين ، ويخذله الناس فمع أن قلوبهم معه إلا أن سيوفهم عليه ، وفي نظر الناس أنه هزم لكنه تحمل كل الآلام في سبيل الله لينصر دينه الحنيف بدمه ودم أنصاره ، وباستشهاده إحياء لدين الله وإنقاذا للمؤمنين والمسلمين في الدنيا والآخرة ، وهو قد استسلم للموت برضا وقبول ووعي تام بأن في ذلك تحقيق لنصر الله تعالى وإحياء لوحي جميع الأنبياء ، في حين يظن الجاهلون والمعاندون أن باستشهاده وما جرى عليه سوف يستأصل

وينتهي ولكنه عكس ما يظنون ينمو ويتعاظم ، وقبله الله تعالى شهيدا مصلحا كما أراده سبحانه وتعالى ، وأن قتله أعظم إثم تحمل وزره القتلة أعداء الله ، وبارك الله نسله فجعل فيه الإمامة وكثّر ذريته ، ونال بشهادته مرتبة لا ينالها إلا بها حتى أصبح باب الله الذي منه يؤتى وشفيعا للمذنبين [٢٣] .

وتوالت البشارات بالإمام الحسين (عليه الاسلام) ، وبعد ولادته حملته أمه الزهراء (عليها السلام) فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : « لعن الله قاتليك ، ولعن الله سالبيك ، وأهلك الله المتوازرين عليك ، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك ... » [٢٤].

وبعد واقعة الطف على حين كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) في أشد حالات الأسى بعد استشهاد أبيه خاطبته العقيلة زينب (عليها السلام) بقولها : « ... لا يجزعنك ما ترى فو الله إن ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جدك وأبيك وعمك ... » [٢٥]

إن بشارات الأنبياء (عليهم السلام) بالإمام الحسين (عليه الاسلام) فيها تهيئة وتعبئة لنهضته الإصلاحية ، وإلزام لكل الناس بمن فيهم من يرى نفسه تابع لهم بوجوب نصرة الإمام والالتحاق بركبه والمشاركة في نهضته الإصلاحية .

المطلب الخامس
إلتحاق الآخر المختلف دينيا ومذهبيا بالإمام الحسين (عليه السلام)

يتجلى من مضامين الحقائق المذكورة في المطالب السابقة أمور أسس لها الأنبياء (عليهم السلام) انعكست إيجابيا على مفهوم التنوع وفلسفته ودوره في نهضة الإمام الحسين (عليه الاسلام) ، منها : أولا : لما كان الإمام الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء ، فهو أعلم بهديهم وما أوحي إليهم من وحي إلهي (كتب وصحف وسنن ، عقيدة وشريعة وسلوك ، قواعد وأصول وفروع وأحكام) ، وهو أدرى بما بقي من الوحي الالهي ومن هدي الأنبياء في التراث الديني المتداول لدى أتباع الديانات الأخرى وما أضيف إليه وما نقص منه وما حرِّف وما غيِّر وما بدِّل ، وتحمل الإمام الحسين (عليه السلام) مسؤولية بيان ذلك لمن طلبه وهداية من التحق به من المخالفين دينيا ، ومن أمثلة ذلك اهتداء وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي (وكان نصرانيا) وأمه وزوجته إلى الحق والهدى على يدي الإمام الحسين (عليه السلام) ولازمه حتى استشهد معه في كربلاء ، وكذلك أمه استشهدت أيضا في كربلاء [٢٦] بعد أن بشرها الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله : « لا يقطع الله رجاك يا أم وهب ، أنت وولدك مع رسول الله وذريته في الجنة » [٢٧]. ولما كان الإمام الحسين (عليه السلام) وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم

) فهو أعلم الناس طرا بكتاب الله وسنة رسوله فهو الهادي الى الحق في كل ما اختلف فيه المسلمون في الأصول والفروع والتفسير والعقيدة والأحكام وغيرها من شؤون الدين ، وتحمل الإمام الحسين (عليه السلام) مسؤولية بيان ذلك لمن طلبه وهداية من التحق به من المخالفين مذهبيا ، ومن أمثلة ذلك ما أعلنه زهير بن القين (رضي الله عنه) مخاطبا عزرة بن قيس بقوله : « اتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين ، أنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية ، فقال عزرة : يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت على غير رأيهم ، قال زهير : .... فلما رأيته ـ أي الإمام الحسين (عليه السلام) ـ ذكرت به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانه منه وعرفت ما يقدم عليه عدوه فرأيت أن أنصره وأن أكون من حزبه وأجعل نفسي دون نفسه لما ضيعتم من حق رسوله » [٢٨].

ثانيا : إن بشارة الأنبياء ـ أولهم آدم عليه السلام ، وخاتمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ بنهضة الإمام الحسين وبكاؤهم على مصيبته من صميم دورهم الرسالي لأن في ذلك تبليغ لأتباعهم وإقامة للحجة على مواليهم بأن الإمام الحسين يمثل هدي الوحي الإلهي وأن نهضته امتداد واقعي لرسالات الأنبياء ويجب على الجميع نصرته وفدائه والتضحية بالنفس والنفيس بين يديه .

ومن أمثلة ذلك التحاق جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري (رضي الله عنهما) بأهل البيت امتثالا لأوامر الوحي الإلهي فكان مع الإمام الحسن (عليه السلام) ملازما له ، ثم مع الإمام الحسين (عليه السلام) ولم يفارقه حتى استشهد بين يديه بعد أن قال له مقولته المشهورة : « يا ابن رسول الله .. إن ريحي لنتن ، وإن حسبي للئيم ، وإن لوني لأسود ، فتنفس علي في الجنة ، ليطيب ريحي ، ويشرف حسبي ، ويبيض لوني ، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم » [٢٩].

ومن أمثلة التنوع العرقي في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) مشاركة الموالي فيها ونيلهم شرف الشهادة بين يديه حتى استشهد منهم خمس عشرة نفرا في الطف [٣٠] ، منهم : واضح التركي مولى الحرث المذحجي السلماني [٣١] ، وسالم بن عمرو مولى بني المدينة الكلبي [٣٢] ،

إن اكتشاف الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا للحقيقة ومعرفته الواقع دفعه للإلتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام) ومشاركته في نهضته الإصلاحية ، مما جعلها نهضة إلهية من بين خصائصها التنوع ، وإذا علمنا أن نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) والشهادة بين يديه مرتبة لا ينالها إلا من شرح الله تعالى صدره ووفقه لذلك ، وأن منهم من كان مختلفا دينيا ومذهبيا وعرقيا وثقافيا واجتماعيا ، تبين لنا أن التنوع في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) إرادة ربانية ومشيئة إلهية .

المطلب السادس
منهج الإمام الحسين (عليه السلام) في الإنسان بدوره الاصلاحي

كان من أولويات الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته الإصلاحية تثقيف الإنسان على تنوعه وتعددية انتمائه بدوره الإصلاحي ومسؤوليته التاريخية ليمتثل تكليفه الشرعي والعقلي والأخلاقي .

فكان (عليه السلام) في ضمير الأمة وقلب الحدث وفي وسط الناس كل الناس يعيش حياتهم ويستشعر آلامهم ويتحسس معاناتهم ويستشرف آمالهم ، ويبصرهم سلبيات واقعهم وتردي أمورهم ونكوص شؤونهم إلى الجاهلية الجهلاء ، مبشرا بحتمية الإصلاح وضرورة النهضة التغييرية الشاملة ، كل ذلك كان على وفق منهج دقيق في كل موقف وقفه الإمام الحسين (عليه السلام) أو لحظة عاشها ، تصريحا تارة وتلميحا أخرى ، بقول أو بفعل أو بتقرير ، وبتواصل مستمر وبكل الوسائل المتاحة مع الأمة أفرادا وجماعات ، تابعين ومتبوعين ، أعيانا ووجهاء على تنوعهم وتعدديتهم ، بتبادل الرسائل أم باستقبال الوفود ، فكان (عليه السلام) يفيض عليهم بالنصح والتوجيه والإرشاد بعد التوعية والتبصير مبينا لهم جميعا منهج الإصلاح وفق هدي القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وكل هذا يجري على الرغم من استبداد السلطة الحاكمة وتضييقها وسعيها بكل وسائل العنف والتنكيل والإرهاب إبعاد الناس عن الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد أشار إلى خطورة ذلك مروان بن الحكم في كتاب رفعه إلى معاوية بن أبي سفيان جاء فيه : « أمّا بعد ، فإنّ عمرو بن عثمان ذكر أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي ، وذكر أنّه لا يأمن وثوبه ... » [٣٣] ، وعليه فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان خطابا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يتوعده فيه ويهدده بما نصه : « فإنّك متى ما تنكرني أنكرك ، ومتى ما تكدني أكدك » [٣٤] ، ولكنه (عليه السلام) لم يعبأ بالتهديد والوعيد تنفيذا لمنهجه الإصلاحي في تثقيف الناس على تنوعهم وتعدديتهم ، وتبصيرهم بمسؤولياتهم توعيتهم بحقوقهم وواجباتهم مستنكرا جرائم السلطة الحاكمة التي ترتكبها بحق أبناء الأمة .

وعقد الإمام الحسين (عليه السلام) مؤتمرا عاما في مشعر منى في موسم الحج حضره ألف شخص من الصحابة وكبار التابعين وأعيان الأمة والنخب الاجتماعية ، وقد شخّص للجميع سلبيات تلك المرحلة وواقع الأمة المرير وخطر الردة إلى الجاهلية المقيتة والانقلاب على الأعقاب والابتعاد عن الإسلام الحنيف أصولا وفروعا ، عقيدة وشريعة وسلوكا ، داعيا الجميع إلى تحمل مسؤولياتهم والمشاركة في نهضته الإصلاحية ، والتأمل في طروحاته (عليه السلام) وتدبرها بوعي وإدراك ، لترسخ إرادة الإصلاح في أعماقهم فيعتقدوا بضرورة تنفيذها وبالدعوة إليها لإحقاق

الحق ، والعمل على تهيئة مستلزمات التغيير الإيجابي لتتحقق المسببات بتحقق الأسباب لقوله تعالى (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [٣٥] ، وقد عبّر الإمام الحسين (عليه السلام) عن ذلك بقوله مخاطبا المجتمعين : « اسمعوا مقالتي ، واكتموا قولي ، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم مَنْ آمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون ؛ فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » [٣٦] ، ومما يجدر ذكره أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان رجل المرحلة فهو القادر الوحيد حينها على النهوض بمشروع الإصلاح الرائد فكان بحق قائدا فذا أراد « أن يبث روح الإيمان والحق فيها لتنهض من جديد كما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه كان يرى أن الدين على وشك أن يحرف فأراد أن يعيد الدين غضا طريا » [٣٧]

المطلب السابع
تنظير الإمام الحسين (عليه السلام) لتوعية الإنسان

يتبين لنا من إمعان النظر في حركية الإمام الحسين (عليه السلام) أنه وضع منهجا لتوعية الإنسان أي إنسان ، فردا ومجتمعا وأمة بمسؤوليته يستند إلى الوحي الإلهي كتابا وسنة ، لأن تشخيص سلبيات الواقع الاجتماعي وتعزيز إيجابياته ومعالجة جميع الاشكاليات المترتبة على ذلك والنهوض الحضاري موقوف على الوعي والمعرفة ، الوعي بأسباب تلك الاخفاقات ومسبباتها دينيا وثقافيا وسياسيا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا ، والمعرفة بالحلول الناجعة على أسس علمية بيّنة وموضوعية واضحة وفلسفية صحيحة ، وتتجلى معالم منهجه (عليه السلام) بما يلي :

١ ـ ضرورة التصحيح وحتميته : بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) أن تصحيح مسيرة الفرد والأمة أمر حسن يدرك حسنه العقل السليم ويؤكده ويأمر به الشرع الحنيف وهذه صبغة الله تعالى ـ واهب العقل وواضع الشرع ـ في خلقه منذ أن خلقهم وهو مما بلغه الأنبياء عليهم السلام ، والتصحيح جهد معرفي أساسه وعي الإنسان بالواقع المنحرف ، والبصيرة بأسس وآليات التصحيح ، ولتتحول هذه المعارف إلى فعل إصلاحي يتحتم به حدوث التغيير الايجابي المنشود ، ومن أمثلة ذلك أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد أكد في جوابه لمعاوية بن أبي سفيان على أن تصحيح المسيرة منهج إلهي قويم يهدي إليه عباده الصالحين الذين يتحملون مسؤوليتهم الاستخلافية الكبرى بقوله في معرض حديثه عن التصحيح : « فإنّ الحسنات لا يهدي لها ، ولا يسدّد إليها إلاّ الله » [٣٨]

فالإنسان الواعي إنما يمعن نظره ويتأمل في الظروف والملابسات والعوامل والأحوال ، ويحلل واقع المجتمع وأخلاقياته ليتجاوز سلبيات الحاضر إلى غد مشرق واعد ،

وبذلك فقد كرّس الإمام الحسين (عليه السلام) في مسؤولية الإنسان معنى الوجود الإنساني وتحديد الحياة وأهدافها ، حيث يكون الإنسان مبدعا لمضامين الحياة الفكرية والحضارية إيمانا وفضيلة وتقوى ، فيصبح المجتمع الذي هو مجموع الناس فاضلا وسعيدا ومتحابا وآمنا سائرا باطراد في طريق التقدم والرفعة والازدهار .

٢ ـ الإصلاح تكليف إلهي : بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) أن مكافحة الفساد وطلب الإصلاح تكليف من الله تعالى لعباده جميعا دون استثناء على تنوعهم الديني والثقافي والحضاري وتعدد انتماءاتهم وأعراقهم وأصولهم ، فالكل مخاطبون به في كل زمان ومكان ، يساءلون عليه ، وتترتب على ذلك آثار دنيوية وأخروية ، حتى أن مكافحة الفساد وطلب الإصلاح كان عاملا مهما في تغيير أحوال الأمم والشعوب وفي أحداث التاريخ ووقائع الدهور ، وبذلك فإن الإصلاح تكليف رباني وإرادة إلهية يُغضب الله تعالى إعراض الناس عنها حيث يقول (عليه السلام) مخاطبا معاوية : " وأيم الله إنّي لخائف لله في ترك ذلك ، وما أظنّ الله راضيًا بترك ذلك ، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك ، وفي أُولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة ، وأولياء الشياطين " [٣٩]

ولذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) رجل المرحلة وبطلها ، وكانت نهضته امتثالا لأمر الله تعالى أعلنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغ أمين الوحي جبريل (عليه السلام) وبشر بها الأنبياء السابقون (عليهم السلام) ليمتثل أمرهم من يرى نفسه تابع لهم .

وعليه أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) نهوضه بمسؤوليته الإصلاحية في مواجهة الانحراف الخطير في عصره وبما يصلح واقع الأمة مهما كلفه ذلك ، إعلانا عاما أمام جمهور الناس داعيا إياهم جميعا إلى تحمل مسؤولياتهم الدينية والأخلاقية والتاريخية المصيرية ، وذلك في ليلة الأحد (٢٨ / رجب / ٦٠ هـ) حيث جاء الإمام الحسين (عليه السلام) إلى قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصلّى ركعات ، ثم ابتهل إلى الله تعالى أمام الملْا بقوله (عليه السلام) : " اللّهمّ هذا قبر نبيك محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنا ابن بنت نبيّك ، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللّهمّ إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر ، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَنْ فيه إلاّ ما اخترت لي ما هو لك رضًا ، ولرسولك رضًا " ، ثم أوضح للشعب أن هذا المنهج إنما فعّله رسول الله عمليا تنفيذا لهدي الوحي الإلهي ، وأن الجميع من دون استثناء مخاطب به ومكلف ، وذلك بقوله (عليه السلام) : " بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، لقد خرجتُ من جوارك كرهًا ، وفُرّق بيني وبينك ، وأُخذت قهراً أن أُبايع يزيد ، شارب الخمور ، وراكب الفجور ، وإن فعلت كفرت ، وإن أبيت قُتلت ، فها أنا خارج من جوارك كُرهًا ، فعليك منّي

السلام يا رسول الله " [٤٠]

٣ ـ التوعية الإصلاحية مسؤولية الأمة : بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) أن إصلاح الأوضاع السيئة مسؤولية الأمة عموما والنخبة خصوصا (لأن النخبة ليس تقسيما على أساس الطبقة الاجتماعية بل على أساس المواهب التي وهبها الله تعالى لعباده) فتفوقهم على غيرهم وتميزهم عن العامة ومؤهلاتهم التي يتمتعون بها إنما تحملهم مسؤولية تجاه الخالق والخلق ، أي أن المواهب إنما يوظفها أصحابها لتحمل مسؤوليتهم أمام الله تعالى وفق مبدأ الاستخلاف الإلهي ، وبما يحقق مصالح جميع العباد من بني جلدتهم ، ولذا على العلماء والباحثين والمثقفين والوجهاء والزعماء من جميع الأديان والطوائف والمذاهب والأمم والأعراق والشعوب ، كل من موقعه ووفق تخصصه وحسب إمكاناته أن يقوم على أتم وجه بواجبه في توعية الناس كل الناس وتثقيفهم بالحقوق والواجبات وتحمل المسؤوليات المصيرية ، كما يتضح ذلك من قوله (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية : " وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي (صلى الله عليه وآله وسلم " أريد أن آمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب ، فمَنْ قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ، ومَنْ ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِين " [٤١]

ونستنتج من وصية الإمام الحسين (عليه السلام) هذه أمور ، أهمها :

١ ـ أن نهضته نهضة إصلاحية وفق هدي الوحي ومدركات العقل والقيم الأخلاقية ذات أهداف سامية وأبعاد إنسانية .

٢ ـ أنه خاطب الناس جميعا على تنوعهم وتعدديتهم واختلافهم بنهضته داعيا الجميع للإلتحاق به تحت راية الحق .

٣ ـ حذّر من العواقب الوخيمة المترتبة على تخاذل الناس وعدم وعيهم بتكليفهم الشرعي والوطني ، الأمر الذي يترتب عليه تفشي الظلم والاستبداد والتخلف والإنهيار والويلات والكوارث .

كما أشار الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أن النخبة من أبناء الأمة يلزمون بواجب الإصلاح الاجتماعي مهما كانت التحديات ومهما كلفهم ذلك ، ولذا لا بد أن يتصفوا بالشجاعة ويتحلوا بالتضحية ، وهو ما يبدو من قوله (عليه السلام) مخاطبا معاوية بن أبي سفيان : " فكدني ما بدا لك ، فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك فيّ " [٤٢]

المطلب الثامن
تنظير الإمام الحسين (عليه السلام) لدور التنوع الديني والثقافي في الإصلاح الاجتماعي

على نقيض سياسة السلطة الجائرة في استغلال التنوع الديني والثقافي استغلالا سلبيا لتحويله إلى أداة بيدها لتفتيت وحدة الكلمة وبث الفرقة بين أبناء الأمة

وبما يضمن سيطرة الحاكم سيطرة مطلقة وتعاظم استبداده وتقوية جبروته وإطلاق يده في التلاعب بمقدرات الأمة وثرواتها ، على نقيض ذلك نظّر الإمام الحسين (عليه السلام) للتنوع الديني والثقافي تنظيرا تكامليا في كل جوانب الحياة وبجميع أبعادها ، ومنه تنظيره لدور التنوع الديني والثقافي في الإصلاح الاجتماعي ، فما دام الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وثقافيا وعرقيا إنسانا فهو مخاطب بالتكليف الإلهي ومطالب بالتغيير الفعلي الإيجابي والذي لا بد أن يكون تغييرا حضاريا يهدف إلى تحقيق الإصلاح .

ولتفعيل ذلك عمليا وتطبيقه فعليا في واقع الحياة وضع الإمام الحسين (عليه السلام) منهجا ينظم دور التنوع الديني والثقافي في الإصلاح الاجتماعي يرتكز على الأسس الآتية :

١ ـ حتمية الالتزام بالتشريع الإلهي : وجّه الإمام الحسين (عليه السلام) في نصوص كلماته ومضامين إرشاداته وفحوى نصائحه جميع الناس بضرورة الالتزام التام بالتشريع الإلهي الذي هو القانون السماوي العام للحياة ، وأن بخلافه تتحول الحياة إلى غابة ، والمجتمع إلى فوضى ، وأن التشريع الإلهي لم يغفل التنوع الديني والثقافي بل ضمن للآخر المختلف دينيا ومذهبيا وثقافيا وعرقيا جميع حقوقه مع احترام خصوصياته الدينية والثقافية والاجتماعية ومنحه حرية ممارسة طقوسه وشعائره والتعبد بشريعته وحرية عاداته وتقاليده شرط التقيد بالنظام العام ، مشددا على أن الأدهى إن كانت السلطة الحاكمة هي الجهة المنتهكة للتشريع والخارجة على القانون ، منكرا محاولات تجاهله وإلغاء تطبيقه ، ولذا وبّخ الإمام الحسين (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان عندما اقترف ذلك بإلغائه حكما تشريعيا ثابتا في التشريع الإسلامي والتشريعات السماوية الأخرى وذلك باستلحاقه زياد بن أبيه حيث خاطبه (عليه السلام) بقوله : " أولستَ المدّعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنّه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فتركت سنّة رسول الله تعمّداً ، وتبعت هواك بغير هدى من الله " [٤٣] .

٢ ـ الحفاظ على وحدة الأمة : كان موقف الإمام الحسين (عليه السلام) مثالا واقعيا ومنهجا عمليا لجميع الناس في ضرورة الحفاظ على وحدة الأمة بكل أطيافها وتعددية انتماءاتها وتنوع أبنائها وأن تكون الأخوة بين الجميع هي السائدة مهما كانت الظروف وتعقدت الملابسات ، وتفاقمت السلبيات ، وكثرت الأخطاء ، فلا بد حينئذ من الحوار الهادف والنقد البنّاء ، ومواجهة الإنحرافات بالوسائل السلمية وبآليات التغيير الإيجابي والعمل المشترك لتحقيق الإصلاح دون نزاع أو صراع أو شقاق أو إراقة دماء .

ولذا فقد أعلنها (عليه السلام) بوضوح تام ودون لبس أنه لا يريد الحرب بل يسعى

إلى حقن دماء أبناء الأمة ، ولا يعمل على إثارة الخلافات بل يهدف إلى وحدة النسيج الاجتماعي وجمع الكلمة على الخير والصلاح ، كما ورد في نص جوابه لمعاوية بقوله : (وما أريد لك حربًا ، ولا عليك خلافًا) [٤٤] .

٣ ـ مقاومة إرهاب السلطة : إن التكليف الإلهي ممثلا بالواجب الشرعي والعقلي والأخلاقي يحتم على جميع الناس مهما تنوعوا وتعددوا ولاسيما النخبة منهم مقاومة إرهاب السلطة الجائرة مقاومة سلمية بالإنكار والتنديد والتقريع ، وهذا ما مارسه الإمام الحسين (عليه السلام) وليكون قدوة وأسوة لغيره عندما قاوم بنفسه مقاومة سلمية بتصديه لبطش أجهزة السلطة القمعية بحق أبناء الشعب منكرا جرائم إعدام كوكبة صالحة من أعلام الأمة ، ومن أمثلة ذلك :

أ ـ تقريعه (عليه السلام) الحاكم الجائر معاوية بن أبي سفيان بعدما قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه (رضي الله عنهم) بقوله (عليه السلام) : " ألستَ القاتل حجراً أخا كندة ، والمصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ، وَلا يَخافُونَ فِي الله لَوْمَةَ لائِم ، ثمّ قتلتهم ظلمًا وعدوانًا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة ، والمواثيق المؤكّدة ، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ، ولا بإحنة تجدها في نفسك ؟ أولستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه ، واصفرّ لونه ، بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ، ثمّ قتلته جرأةً على ربّك ، واستخفافًا بذلك العهد ؟ " .

ب ـ تنديده (عليه السلام) بجرائم معاوية أيضا بقوله: " أولستَ صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه ، فكتبت إليه أن اقتل كلّ مَنْ كان على دين علي ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك ، ودين علي (عليه السّلام) واللهِ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك ، وبه جلستَ مجلسك الذي جلستَ ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين ؟ " .

جـ ـ إنكاره (عليه السلام) منح الوالي الجائر سلطات إجرامية واسعة ليمارس إرهاب السلطة بحق الأمة بقوله (عليه السلام) مخاطبا معاوية : " ثمّ سلّطته ـ أي زياد بن أبيه ـ على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنّك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك ؟ " [٤٥] .

٤ ـ الثورة التغييرية الشاملة : شخّص الإمام الحسين (عليه السلام) بدقة وبوضوح أن السلطة الجائرة والحكم الفاسد والحاكم الظالم أعظم مصائب تصاب بها الأمة وأن مسؤولية جميع أفراد الأمة بلا استثناء حينئذ الثورة التغييرية الشاملة للإطاحة بالحاكم الجائر وسلطته الدكتاتورية وحكمه الفاسد وأجهزته الاجرامية بكل

الوسائل الممكنة ، فإن امتثل أبناء الأمة تكليفهم هذا فإنهم يحدثون تغييرا إيجابيا يرضي الله تعالى ويتحقق خلاصهم ونجاة جيلهم والأجيال اللاحقة ، وإن تركوا فقد جاروا على أنفسهم وارتكبوا ذنبا وعصيانا فيحل بهم بطش الحاكم الفاسد وظلم السلطة وقمعها وليحل بهم وبالأجيال اللاحقة البؤس والشقاء والتنكيل والعذاب ، وقد بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك بقوله مخاطبا معاوية : " وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها ، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمّة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلتُ فإنّه قربة إلى الله ، وإن تركتُه فإنّي استغفر الله لذنبي ، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري " [٤٦] .

وقد أكد الإمام الحسين (عليه السلام) أن ذلك أمر إلهي مولوي نطق به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما نطق به الأنبياء (عليهم السلام) من قبل يترتب على تركه في الدنيا تعاسة وشقاء ، وفي الآخرة حساب وعذاب ، وهو ما ورد في خطابه (عليه السلام) الذي وجهه في منطقة البيضة لكتيبة الحرّ بن يزيد التميمي بأن : " رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : مَنْ رأى سلطانًا جائراً ، مستحلاً لحرام الله ، ناكثًا لعهد الله ، مخالفًا لسنّة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمان ، وأظهروا الفساد ، وعطّلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله " [٤٧] .

٥ ـ المعيار الأخلاقي في التغيير الاجتماعي : من الثوابت في أقوال ومواقف وتوجيهات الإمام الحسين (عليه السلام) القيم السامية والمعايير الأخلاقية النبيلة بتهذيب النفوس وتربيتها على الصبر والإيثار والحلم وضبط النفس دون إغفال لضرورة محاسبة الفاسدين ولا بدية معاقبة المجرمين ، ولذا أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) بجرأة وصلابة وشجاعة أن مساءلة الحاكم مقولة حتمية مهما كان وأنه لا أحد من الحكام يفلت من ذلك أبدا ، وأنه لابد من يوم يحاسب فيه الحاكم على كل قرار أصدره أو أمر فعله أو مال استحوذ عليه أو أحد من الناس آذاه بكلمة أم بقول أم بفعل ، بقوله (عليه السلام) مخاطبا معاوية : " فابشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً " لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها " [٤٨] ، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة ، وقتلك أولياءه على التهمة ، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حَدَث ، يشرب الخمر ، ويلعب بالكلاب ، لا أعلمك إلاّ وقد خسرت نفسك ، وبترت دينك ، وغششت رعيتك ، وأخزيت أمانتك ، وسمعت مقالة السفيه الجاهل ، وأخفت الورع التقي لأجلهم " [٤٩] ، ومع ما في هذه المقولة من تقوية لعزيمة المصلحين ورفع لمعنوياتهم ليقارعوا الجور والطغيان

ويمارسوا الرقابة وينهضوا بالتغيير مهما طال الزمن وتوالت نوائب الاستبداد إلا أن الإمام الحسين (عليه السلام) يبّن أن الإصلاح الحقيقي في جوهره يتناقض مع الانتقام ويتعارض مع التشفي لأنه انتفاضة سامية على الواقع الفاسد والجور والانحراف بروحية الإصلاح وليس الانتقام أو الإساءة لأحد لأسباب شخصية أو مادية أو مصلحية فئوية، وهو ما عبر عنه عليه السلام بقوله : " وانّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي محمد (ص)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردَّ عليَّ هذا، اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين " ، فالغاية إذن هي التغيير الإيجابي بوأد الفساد وقبر الفتنة والقضاء على المظالم وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية والإقتصادية وإحقاق الحقوق ، ولا يتم ذلك إلا بتحقيق العدالة للجميع وإنصاف المظلومين والمستضعفين من أي دين أو طائفة أو مذهب أو قومية كانوا وفق أحكام الشريعة الغراء دون تشف أو انتقام .

المطلب التاسع

جهود الإمام الحسين (عليه السلام) في تكريم النوع الإنساني والتعايش السلمي

من ثوابت الوحي الإلهي في رسالات جميع الأنبياء (عليهم السلام) مبدأ " التكريم الإلهي " حيث كرّم الله تعالى الإنسان ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [٥٠] ، وتضمن التشريع الإلهي قواعد وأحكام تنظم التعايش السلمي الإنساني بين الجميع ، ولما كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية من الوحي الإلهي وإليه فقد انطلقت من ثوابته وسعت لنشر هديه بين الناس جميعا بكل أصوله وفروعه ومبادئه وتشريعاته وقيمه ، ومنها تكريم النوع الإنساني والتعايش السلمي الإنساني بين بني البشر جميعا مهما تنوعوا وتعددوا ، ومن معالم ذلك ما يأتي :

أولا ـ بذل الإمام الحسين (عليه السلام) جهوده الجبارة لإظهار الإصلاح في البلاد ورفع الظلامة عن كل العباد صيانة لكرامتهم التي كرمهم الله تعالى بها جميعا على تنوعهم وتعدديتهم وإحقاقا لحقوقهم ونشر العدل بينهم ليحيوا حياة طيبة كريمة سعيدة كما أرادها الله تعالى لهم ، يقول (عليه السلام) : « اللهم إنك تعلم إنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك » [٥١] ، فالجميع أعزهم الله تعالى بالعبودية له وحده سبحانه ، فلا بد من رفض العبودية لغيره عز وجل فتحدى (عليه السلام) الذلة التي يفرضها الطغاة بقوله : « ألا وإن

الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام في مصارع الكرام «[٥٢]

وفي نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) أن كرامة الإنسان أي إنسان قيمة إنسانية عظمى حتى أن في موت الإنسان حرا عزيزا سعادة ومجدا ، وحياته في ظل الجور والظلم والعبودية تعاسة وذلة ومهانة وشقاء ، وهذا ما عبّر عنه (عليه السلام) بقوله : « فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما « ، وذلك لأن القيمة الفعلية لحياة الإنسان ترتبط بالمبادئ والقيم والتي إن صلحت ورسخت في قلبه صلحت حياته وآخرته ، وإن فسدت القيم والمبادئ فسدت معها دنياه وآخرته ، لأن الانحراف الخطير في مسيرة الأمة حينئذ قد تجذر إلى حد لا يكفي معه الانفعال النفسي والمتمثل بالرفض القلبي ، ولا الشجب والاستنكار والمتمثل بالرفض القولي ، وحذّر الإمام الحسين (عليه السلام) من رضوخ الإنسان للواقع السلبي المتردي لأن هذا يعني إقرار على الانحرافات الخطيرة مما يجعلها أمرا مفروغا منه فتختلط المفاهيم ويتحول المنكر إلى عرف اجتماعي سائد ، والمعروف إلى منكر ، وحينئذ يتزلزل كيان الأمة فتتردى في سقوط وانهيار ، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في أول خطبة خطبها في كربلاء : (ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ؟) [٥٣]

ثانيا ـ من ضوابط حركية الإمام الحسين (عليه السلام) في الإصلاح الشامل وضع الناس جميعا على تعدديتهم وتنوعهم أمام مسؤولياتهم الشرعية والعقلية والاجتماعية والتاريخية ، وتأصيل مبدأ « حرية الإنسان في الاختيار « ليتحمل الجميع مسؤولياتهم بوعي وإرادة وعزيمة وحرية واختيار ، فبعد أن بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) رسالته الإصلاحية لأبناء الأمة جميعا أعلن هذا المبدأ بقوله (عليه السلام) : « فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردَّ عليَّ هذا، اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين « ، وبذلك فقد دعا (عليه السلام) من يؤمن برسالته هذه للمضي معه في طريق الإصلاح ذي الشوكة إلى كربلاء متصدين لانتهاكات حقوق الأمة أفرادا وجماعات ، والمطالبة بضرورة الرجوع إلى الأمة لبيان رأيها بالحاكم ، وتطبيق التشريعات الإلهية التي يلتزم بها الجميع ، وحتمية التزام الحكام بما عاهدوا الله عليه ورسوله والأمة من تشريعات وتنفيذها بأخلاقية وسلوكية تحترم حريات وحقوق الناس جميعا وعدم التعسف واضطهاد الشعب واتخاذ القرارات الجائرة بحق الأمة .

وأما من يرفض هذه الدعوة فانه (عليه السلام) ينتهج معه نهج التوعية ملتزما بالصبر لعل الله يهديه إلى الحق والصواب وهو خير الحاكمين ، مذكرا إياهم بمسؤولياتهم الجسيمة والمصيرية أمام الله عز وجل والأمة والتاريخ ، بقوله

(عليه السلام) : « ولكنكم مكنتم الظلمة في منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، إقتداءً بالأشرار، وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس « [٥٤] .

ثالثا ـ مما تميزت به حركية الإمام الحسين (عليه السلام) تثقيف جميع الناس بمبدأ نبذ العنف وإشاعة السلام الاجتماعي إرساء للتعايش السلمي بين أطياف المجتمع ومكوناته مهما تنوعت أديانهم ومذاهبهم وطوائفهم ، وتعددت انتماءاتهم واختلفت ثقافاتهم وتكثرت رؤاهم ، مبيّنا (عليه السلام) أن ذلك من ركائز التعايش السلمي الإنساني وفق المنهج الإلهي الذي انتهجه الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) في نشر التآلف والتوادد على أساس وحدة النوع الإنساني والأخوة الدينية والأواصر الاجتماعية والقيم الأخلاقية ، كما حذر (عليه السلام) جميع الناس من أنهم إذا ما حادوا عن ذلك فالبديل هو النكوص عن التعايش السلمي الإنساني والرجعية الظلامية وصولا إلى حالة فقدان الوعي لدى الناس الأمر الذي يلزم منه نتائج خطيرة ، أهمها :

١ ـ شيوع الأنانية والمنكر وتفشي ظاهرة العصيان وعدم الالتزام بالتشريع الإسلامي والقانون الإلهي وشيوع ثقافة الفوضى ، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : (اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة) .

٢ ـ تشرذم الأمة وتفتت وحدتها وانقسام الناس فرقا متعادية وشيوع ثقافة الاختلاف والخلاف وتفشي الصراع والنزاع ، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : (فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعا أبدا ، ولم يأخذوا عطاء في سبيل الله جميعا أبدا) .

٣ ـ استكانة الإنسان وسبات الناس وذل المجتمع وتخلف الأمة بسبب بيع الضمائر وشراء المقدرات والمتاجرة بالثوابت ، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : (الناس عبيد المال والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت بهم معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون) .

٤ ـ تفشي الذل والمهانة وشيوع الاضطهاد والتنكيل حتى تكون التعاسة والشقاء والخوف والقلق والقتل والدمار كابوسا رهيبا جاثما على صدور الناس جميعا وتصبح الأمة في انحطاط وتدهور وفقر وفاقة ، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : (والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم) ، ، ويقول (عليه السلام) أيضا : (وأيم الله ليقتلنني ثم ليلبسنهم الله ذلا شاملا وسيفا

قاطعا وليسلطن عليهم من يذلهم) [٥٥]

نتائج البحث :

نستنتج من مطالب هذا البحث النتائج الآتية :

أولا : لما كان الإمام الحسين (عليه السلام) سليل الأنبياء (عليهم السلام) ووارثهم وشبيههم خلقا وخلقا وامتدادهم الطبيعي فنهض بهداية الناس كل الناس كما نهضوا قبل ، فكانت نهضته الإصلاحية إحياء لوحيهم وإعلاء لدينهم .

ثانيا : للإمام الحسين (عليه السلام) مشروع إصلاحي يتميز بالربانية والشمولية والتكاملية ، فوضع لإشكاليات الإنسان والحياة حلولا ناجعة قائمة على هدي الوحي الإلهي وحقائق المدرك العقلي الصحيح ، ومن تلك الإشكاليات إشكالية التنوع الديني والثقافي .

ثالثا : أحيى الامام الحسين (عليه السلام) المشروع الريادي للتنوع الديني والثقافي الذي جاء به الوحي الإلهي فأصله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرية وتطبيقا ، ونظره أمير المؤمنين (عليه السلام) رؤية ومنهجا .

رابعا : إن المشروع الحسيني مشروع سماوي نظّر تنظيرا حضاريا واقعيا للتنوع الديني والثقافي وفق مبادئ الوحي الإلهي وليجعل من ذلك التنوع أساسا للبحث عن الحقيقة ومنطلقا لإصابة الواقع ومنهجا للعودة إلى هدي الوحي وواقعا للفضيلة والتسامح والتعايش والتوادد والتآخي بين بني البشر وليشركهم جميعا في الإصلاح كما أراده الله تعالى بما يحقق سعادة الإنسان ، كل إنسان فردا وجماعة وأمة ومجموعا .

خامسا : لما كانت إصابة الحق مطلبا شرعيا وعقليا فقد خاطب الامام الحسين (عليه السلام) الناس على تنوعهم الديني والثقافي والعرقي لإشراكهم في نهضته الاصلاحية لأن الإصلاح مسؤولية الجميع شرعا (بموجب الأوامر الإلهية التي بلغها الأنبياء جميعا عليهم السلام) وعقلا ، ولذا نجد هذا التنوع في شهداء الطف رضوان الله تعالى .

سادسا : إن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية قد جسدت حقائق التنوع وفلسفة التعدد وهدي الوحي ومدركات العقل وقيم الإنسانية ، ولذا فقد حوّل بمنهجه في ذلك التنوع من إشكاليات وسلبيات إلى آلية من آليات الإصلاح .

سابعا : إن البشرية اليوم وهي تعاني من الأبعاد السلبية للتنوع في أحوج ما يكون إلى استلهام منهج الإمام الحسين (عليه السلام) في التنوع الديني والثقافي وبهذا وحده يتحقق السلام والوئام في عالمنا المعاصر .

الهوامش:

١- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) / صحيح الأدب المفرد ـ المحقق : محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة الدليل ، الطبعة الرابعة ، (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) : باب معانقة الصبي ـ ص١٤٦ .

٢- الخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨ هـ) / مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي ، تحقيق : الشيخ محمد السماوي ، الطبعة الأولى ، الناشر : مؤسسة أنوار الهدى (قم ، ١٤١٨ هـ) : ١ / ٨٨ .

٣- القرشي : الشيخ باقر شريف / حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، إصدار : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) : ٢ / ١٢٥ .

٤- البلاذري :أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر / فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع ، الناشر : مؤسسة المعارف ، (بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) : ص٣٠٥ .

٥- القرشي / حياة الإمام الحسين : ٢ / ١٣٧ .

٦- ابن عبد ربه الأندلسي : أحمد بن محمد (ت : ٣٢٨ هـ) / العقد الفريد ، تحقيق : الدكتور عبد المجيد الترحيني ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) : ٣ / ٣٦١ .

٧- هدارة : الدكتور محمد مصطفى / اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، الناشر : دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٦٣ م) : ص٢٧ .

٨- القرشي / حياة الإمام الحسين : ٢ / ١٣٠ .

٩- العقاد : عباس محمود / شخصيات إسلامية ـ معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الميزان ، الناشر : دار الكتاب العربي ، (بيروت ، لا . ت) : ص٦٦٣ وما بعدها .

١٠- القرشي / حياة الإمام الحسين : ٢ / ١٣٩ .

١١- سورة الروم / ٢٠ .

١٢- سورة النساء / ١ .

١٣- ينظر : السبزواري : آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي / مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، الناشر : دار التفسير ، الطبعة الخامسة ، (قم المقدسة ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) : ٧ / ٢٢٧ وما بعدها .

١٤- الشهيد السيد محمد باقر الصدر / المدرسة القرآنية ، إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، الطبعة الأولى ، (١٤٢١ هـ) : ص٣٥٩ وما بعدها .

١٥- سورة آل عمران / ٦٤ .

١٦- ابن قولويه : أبو القاسم جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٨ هـ) / كامل الزيارات ـ تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، الطبعة الأولى : (مؤسسة نشر الفقاهة ، ١٤١٧ هـ) : ص٤٠٠ ـ ٤٠٢ .
١٧- الميلاني : السيد علي الحسيني / مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة ، الناشر : مركز الحقائق الإسلامية : ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ .
١٨- المجلسي : الشيخ محمد باقر / بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) : ٤٤ / ٢٤٥ .
١٩- إيزابيل بنيامين ماما آشوري / بحوث مسيحية متعلقة بالحسين والمهدي (عليهما السلام) ـ الناشر : شبكة الفكر (alfeker.net) : ص٨ ـ ٩ .
٢٠- الصدوق : الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت : ٣٨١ هـ) / كتاب الخصال ، صححه وعلق عليه : على أكبر الغفاري ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، (قم المقدسة ، ١٤١٦ هـ) : ١ / ٥٨ .
٢١- ابن قولويه / كامل الزيارات : ص١٤٢ ـ ١٤٣ .
٢٢- سفر إِشَعْيَاءَ : ٥٣ / ١ ـ ١٢ .
٢٣- إيزابيل بنيامين ماما آشوري / المصدر السابق : ص١٠ وما بعدها .
٢٤- ابن قولويه / كامل الزيارات : ص١٤٤ .
٢٥- ابن قولويه / المصدر نفسه : ص٢٥٩ .
٢٦- القريشي : عبد الأمير / البالغون الفتح في كربلاء ، الطبعة الأولى ، الناشر : بيت العلم للنابهين ، (بيروت ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) : ص٣٩٢ وما بعدها .
٢٧- الخوارزمي / مقتل الحسين (عليه السلام) : ٢ / ١٦ .
٢٨- المقرم : السيد عبد الرزاق الموسوي / مقتل الحسين (عليه السلام) أو حديث كربلاء ، تقديم : محمد حسين المقرم ، الناشر : منشورات الشريف الرضي : ص٢١١أ .
٢٩-٦٢ السماوي : الشيخ محمد بن طاهر / إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام) ، تحقيق : الشيخ محمد جعفر الطبسي ، الناشر : زمزم هدايت ، الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى :ص١٥٤ .
٣٠- السماوي / المصدر نفسه : ص١٩٣ .
٣١- السماوي / المصدر نفسه : ص١٢٩ .
٣٢- السماوي / المصدر نفسه : ص١٥٩ .
٣٣- سپهر : الميرزا محمّد تقيّ / ناسخ التواريخ ـ سيرة سيّد الشهداء عليه السلام ، الناشر : الكتب الإسلامية ، (طهران ، ١٣٩٨ هـ ق) : م٦ ج١ / ٢٥٤ .
٣٤- سپهر : الميرزا محمّد تقيّ / المصدر نفسه: م٦ ج١ / ٢٥٥ .
٣٥- سورة الرعد / ١١ .
٣٦- الهلالي : سليم بن قيس العامري (٢ قبل الهجرة ـ ٧٦ هـ) / كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري ، تحقيق محمد

باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني ، الطبعة الأولى ، مطبعة الهادي ، (قم ، ١٤٢٠ هـ) : ص٦ .

٣٧- الشيرازي : السيد محمد الحسيني / قبس من شعاع الإمام الحسين (عليه السلام) ، الناشر : مؤسسة المجتبى ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ٢٠٠١ م) : ص٣٠ .

٣٨- سپهر : الميرزا محمّد تقيّ / المصدر السابق : م ج١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

٣٩- سپهر : الميرزا محمّد تقيّ / المصدر نفسه .

٤٠- أبو مخنف : لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي (ت ١٥٧ هـ) / مقتل الحسين (عليه السلام) ، الناشر : مكتبة الألفين ، الطبعة الثانية ، (الكويت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) : ص١٥.

٤١- الخوارزمي : المصدر السابق : ١ / ٨٨ .

٤٢- سپهر : الميرزا محمّد تقيّ / المصدر السابق .

٤٣- القرشي : باقر شريف / المصدر السابق : ٢ / ١٥٠ .

٤٤- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ ـ ٨٨٩ م) / الإمامة والسياسة ، تحقيق : د . طه محمد الزيني ، الناشر : دار الأندلس ، (النجف الأشرف ، لا . ت) : ١ / ١٦٤ .

٤٥- ينظر : الطبرسي : أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ت نحو : ٥٦٠هـ / ١١٦٥ م) / الإحتجاج ، تعليق : محمد باقر الخرسان ، مؤسسة النعمان ، (بيروت ، لا . ت) : ٢ / ٢١ .

٤٦- ينظر : المدني : صدر الدين السيد على خان الشيرازي الحسيني (ت ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م) / الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، قدم له : محمد صادق بحر العلوم ، الطبعة الثانية ، الناشر : مكتبة بصيرتي ، (قم ، ١٣٩٧ هـ) : ص٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

٤٧- إبن الأثير : أبو الحسن عز الدين عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٣٣ م) / الكامل في التأريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية ـ (بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ٣ / ٢٨٠ .

٤٨- سورة الكهف / ٤٩ .

٤٩- الأمين : السيد محسن العاملي / المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية ، الطبعة الخامسة ، (بيروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) : ١ / ٣٤.

٥٠- سورة الإسراء / ٧٠ .

٥١- المحسن : مصطفى الموسوي / لمعة من بلاغة الحسين (عليه السلام) : ص١٥٨ .

٥٢- المقرم : عبد الرزاق الموسوي / المصدر السابق : ص٢٣٤ .

٥٣- الأمين : السيد محسن العاملي / لواعج الأشجان في مقتل الحسين (عليه السلام) : تحقيق : السيد حسن الأمين ، الناشر : دار الأمير ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، ١٩٩٦ م) : ص٧٧ .

٥٤ ابن شعبة الحراني : أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي (كان حيـاً قبل : ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) / تحف العقول عن آل الرسول ، صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، الطبعة الثانية ، (قم ، ١٤٠٤ هـ) : ص٢٣٨ .

٥٥- القمي : المحدث الشيخ عباس / نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ، الناشر : منشورات ذوي القربى ، الطبعة الأولى (قم ، ١٤٢١ هـ) : ص ٩٨ وما بعدها .